(٨)

ما المعارف التي نقدمها لتلاميذنا في كتب القراءة في مراحل التعليم العام؟ وكيف نقدمها؟ أبالسرد أم بالحوار أم بالقصة؟

تعتبر البنية المعرفية لمحتوى كتب القراءة أحد ثلاثة أبعاد تسهم كلها مجتمعة في تحقيق الهدف من عملية القراءة ، والبعدان الآخران هما المعلم وإستراتيجياته التي يتبناها في تعليم القراءة وتقديمها لطلابه ، والطالب بدافعيته واتجاهاته وميوله القرائية .

وتعتبر البنية المعرفية للمحتوى هي القاعدة الرئيسة أو البعد الرئيس لهذه الأبعاد الثلاثة التي أشرنا إليها ؛ وذلك بسبب أن المحتوى هو الدافع الرئيس لتعلم القراءة والاستمرار في تعلمها ، بل هو البوابة الوحيدة لجذب الطالب للقراءة وتنمية شخصيته ـ بصفة عامة ـ وبناء فكره ـ بصفة خاصة ـ ولذلك تبذل الأمم والشعوب قصارى جهدها في اختيار البنية المعرفية للمحتوى المقروء .

ويؤدي الفشل في اختيار المحتوى والبنية المعرفية إلى عزوف الطلاب والمتعلمين عن القراءة ، وخلق أجيال لا تؤمن بأهمية القراءة ودورها في تنمية الشعوب وتقدمها .

وقد مر اختيار البنى المعرفية لمحتوى كتب القراءة في مصر والعالم بعدة مراحل .

لقد كانت البدايات في مصر حين أنشأ (محمد علي) مدارس «المبتديان» في العقد الثاني من القرن التاسع عشر ، واعتمدت كتب القراءة على مختارات

من كتب التراث الأدبي والعلمي ، ولم تـراع ـ إلى حـد مـا ـ المسـتوى اللغـوي للطلاب ، علاوة على غلبة المحتوى الأدبي على مواد القراءة وظل الأمر كـذلك إلى بدايات القرن العشرين .

وفي العقود الأولى من القرن العشرين اعتمد في كتب القراءة على المحتوى الأدبي من اختيار كبار الأساتذة الرواد ، مثل طه حسين وأحمد أمين . . وغيرهما .

ثم حدث في بداية الأربعينيات من القرن العشرين ١٩٤١/١٩٤٢م أن بدأت تجربة جديدة في تقديم مواد القراءة حيث اعتمد على ما يسمى بالخبرات اللغوية وخلاصة هذا التوجه هو الاعتماد في مواد القراءة على التفاعل بين التلاميذ والطلاب بالاعتماد على مجموعة من الأسئلة التي يطرحها المعلم على تلاميذه وتسجيل إجابات هؤلاء التلاميذ في جمل متنوعة ، وتعتمد الدروس اليومية على هذه الخبرات اللغوية يومًا بعد يوم .

وفي الغالب لم تكن هذه الخبرات اللغوية تحتوي على بنى معرفية ؛ لأنها مرتبطة ـ أي الأسئلة المطروحة ـ بشئون الحياة اليومية العادية .

ومن أمثال هذه الأسئلة :

- ماذا تناولت اليوم في الإفطار؟
- من قابلك اليوم حين دخلت المدرسة؟
- من يذاكر معك دروسك؟

ومنذ عام ١٩٥٤م طبقت الطريقة الكلية في تعليم القراءة في مصـر ، واتجـه بكتب تعليم القراءة إلى التراكيب اللغوية المصطنعة ، التي لا تمثل نصًا متكاملاً ولا تبنى فكرًا مترابطًا ، واعتمد على لغـة أطلـق عليهـا «لـويس عـوض» أدب الأرياف ، وأطلق على مؤلفيها أدباء الأرياف ؛ ويعني لويس عـوض بهـذا أنهـا ـ

أي مواد القراءة ـ نصوص مصطنعة لا تقدم أدبًا ولا فنًا ، ولا فكرًا واستمر الحال على ذلك إلى الآن .

وأجريت دراسات ثبت من خلالها أن مواد القراءة في المدرسة الابتدائية في مصر لا تقدم معرفة ولا تستخدم في تقديم ما يقدم إلا أسلوب السرد والتقرير الإخباري ، وفشلت كتب القراءة في جذب انتباه القارئ ودفعه للقراءة وإلى مزيد من القراءة ، في الوقت الذي أصبحت فيه كتب القراءة بابًا واسعًا من أبواب العلم والمعرفة في العالم كله ، بل ومفتاحًا من المفاتيح المهمة في إنماء الوعي بالقراءة والدافعية إليها . .

* * *